أثر دلالة الإشارة في استنباط المعاني التربوية والنفسية من نصوص القرآن الكريم

م.م مروة قاسم محمد

أ. د صهيب عباس عودة

جامعة الأنبار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان مقصد القرآن ومنهجه في التربية والتوجيه والإرشاد، إذ استودع في كثير من ألفاظه معانِ تربوية هادفة ومعالجات نفسية، ولا يمكن الوصول لها بمجرد النظر في الألفاظ والعبارات بل لابد من توجيه الفكر واستنطاق النصوص لمعرفة ما وراءها من معان حية ونبيلة ملازمة لها، وذا يكون عن طريق دلالة الإشارة لا غير إذ هي تكشف عن مكنون الألفاظ اللازمة لها.

الكلمات الدالة : دلالة الإشارة ، نصوص القرآن ، أثر، نفسية، تربوية.

المقدمة

الحمد لله الذي أهل من عباده لاستنباط الاحكام من أياته البينات والصلاة والسلام على من ختم الله به الرسالات، وعلى آله واصحابه ما استنبطت المعاني بالإشارات.

وبعد..

فقد تعددت طرق الكشف عن المعاني اللفظية في النصوص الشرعية، وذا لأنها تحمل في طياتها عمقاً استدلالياً غائراً وكنوزاً معرفية مودعة لايمكن الوصول إلى جميعها بالاقتصار على ظواهرها بل لابدّ من الغوص في دلالاتها للوصول إلى تلك المعاني الخفية الملازمة لها، وإخراجها من مستودعها فخصص الأصوليون لإدراك هذه المعاني البعيدة دلالة الإشارة وخصصوا موطن بحثها في المعاني التي لا تدرك بمجرد النظر في الألفاظ والعبارات بل في المعاني التي لا تظهر للعيان من أول وهلة، ومن ثمة تظهر أهمية هذه الدلالة فكان لها أثرها الواسع وميدانها الرحب في الاستنباط، وها نحن اليوم نوجه هذه الدلالة في قراءة نماذج قرأنية معدة تشير إلى جملة من المعاني المستنبطة في مجالي التربية والنفسية، فكانت لهذه الاستنباطات توجيهات قيمة ومسالك نبيلة تهدف إلى تقويم السلوك، وتوجيه العقل البشري في ممازجة فكره بدينه ومبادئه إذ تعرض القرآن لوصف بليغ لكلا الأمرين، وأعطى لكل توجيهاً معالجاً، لابد من الوقوف عليها عبر هذه الدلالة لتكون فيما بعد خطوات إيجابية متبعة في تحصين الاستنباط واستخراج المعاني.

مشكلة البحث:

يحاول هذا البحث الإجابة عن سؤال: ما مفهوم الإشارة، وما أثرها في التفسير، والإجابة عن هذا السؤال من خلال الإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

1_ ما حقيقة دلالة الإشارة بوصفها أحدى دلالات الألفاظ اللغوية الأصولية؟
2_ كيف تعامل المفسرون مع هذه الدلالة عند تفسيرهم لكتاب الله؟
3_ ما أثار هذه الدلالة في استنباط المعاني من النصوص القرآنية في الجوانب التربوية والنفسية؟

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في بيانه أن إشارة النص وروحه ومعقوله لا تقل أهمية عن عبارته وصريحه في الاستدلال والاستنباط من النصوص القرآنية، كما تبرز أهمية هذه الدراسة في تقديمها نماذج من النصوص القرآنية التي ضمت إشارات وحقائق نفسية وتربوية، وربط هذه الإشارات المستنبطة بأحدث ما توصلت إليه النظريات الحديثة في علم النفس وطرائق التدريس وأساليب التربية، بما يبين مسايرة القرآن للتطور الحضاري والعلمي ولتؤكد أن القرآن كتاب هداية وإرشاد وتثبت صلاحيته ومواكبته لجميع التطورات في جميع الأزمان.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف والتي منها:
1_ الكشف عن حقيقة دلالة الإشارة، بوصفها دلالة معتبرة وأحدى أقسام المنطوق غير الصريح
2_ إثبات حجية الاستدلال بإشارات النصوص القرآنية عند علماء أصول الفقه والتفسير
3_ بيان تأثير الإشارة في استنباط معانٍ ثانوية للنص القرآني
4_ الكشف عن أثر هذه الدلالة من خلال التطبيق في القرآن الكريم، وعرض نماذج فيها معالجات لمسائل وقضايا في الجوانب التربوية والنفسية .

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على بحث مستقل أفرد هذا الموضوع بالدراسة، وقد وجدت أن بعض الباحثين قد تطرق لبعض الأمثلة من الآيات القرآنية التي تحمل إشاراتها جوانب تربوية، لكنها تختلف عن هذه الدراسة شكلاً ومضموناً، فلم توجد دراسة قد جمعت مسائل وقضايا تربوية ونفسية، وربطها بالنظريات الحديثة في علم النفس وأساليب التنشئة وطرائق التدريس، وهذا ما ميز البحث عن غيره.

منهج البحث:

سلك الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، حيث قام الباحث باستقراء عدد من كتب الأصول والتفسير وكتب علم النفس وكتب التربوية لاستخراج المثلة وتبويبها، واستقراء مادتها للوصول إلى الفرضيات التي تؤدي إلى النتائج المبتغاة.

وقد اقتضت حالة البحث أن يكون خطته بعد هذه المقدمة بتمهيد ومبحثين وخاتمة.

التمهيد وقد تضمن بيان حقيقة الأثر والإشارة، في اللغة والاصطلاح.

أما المبحث الأول: كان في أحكام دلالة الإشارة، وتضمن الآتي:

المطلب الأول: مراتب الإشارة

المطلب الثاني: حجية دلالة الإشارة

المطلب الثالث: ضوابط دلالة الإشارة

المطلب الرابع: أثر دلالات الألفاظ في استنباط المعاني.

أما المبحث الثاني: فكان في الإشارات التربوية والنفسية في النصوص القرآنية، وقد تضمن مطلبين :

المطلب الأول: نماذج من الإشارات التربوية المستنبطة من النصوص القرآنية

المطلب الثاني: نماذج من الإشارات النفسية المستنبطة من النصوص القرآنية.

أما الخاتمة فقد أودعت فيها خلاصة البحث وأهم النتائج التي توصل إليها.

وفي الختام أستغفر ربي الكريم وأتوب إليه، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه الأمين وعلى آله وأصحابه الغر الميامين.

التمهيد

أولا : بيان حقيقة الأثر و الإشارة

١- **الأثر لغة:** له ثلاثة أصول:

الأول: تقديم الشيء، كقولهم: أثرت بأن أفعل كذا، بمعنى: أفعله أول كل شيء(1).

الثاني: ذكر الشيء، كقولهم: أثرت الحديث أثراً، أي: نقلته، ومنه حديث مأثور، أي: منقول، بمعنى: نقله خلف عن سلف(2).

الثالث: رسم الشيء الباقي: أي: ما بقي من الشيء، فدل على أن ذلك الشيء قد كان، كقولهم: النبات أثر للقطر، لأنه حصل به ودل عليه(3).

الأثر اصطلاحاً: الأثر عند العلماء هو: النتيجة، فهو الحاصل من الشيء(4)، ويستخدمه الفقهاء بمعنى ما يترتب على الشيء، ويسمى بالحكم عندهم، فهو حكم الشيء المترتب عليه، بطريق المعلولية(5). وبهذا يتبين أن المعنى الاصطلاحي للأثر لا يخرج عن معناه اللغوي، إلا أن المعنى اللغوي أوسع.

٢- **الإشارة لغة:** الإيماء ، ومنه قولهم:أشار فلان يشير إشارة، إذا أومىء بيده أورأسه، أو طرف عينينه ، ومنه قول الشاعر:

(اشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم)(6)

وتكون الإشارة بالكف، أو الحاجب، أو العين، وهي مأخوذة من شور(7) ، وتأتي لمعنيين:

الأول: إظهار الشيء وعرضه، ومنه قولهم: شار الدابة ويشورها شوراً، إذا عرضها لتباع، فأقبل بها وأدبر، كما يسمى المكان الذي تشور به الدواب بالمشوار(8).

الثاني: أخذ الرأي من الغير، ومنه قولهم: شاورت فلاناً في الامر، فهو مشتق من شوار العسل، إذا أجتناه من موضعه وأخذه، فكأن المستشير قد أخذ الرأي من غيره، ولهذا يقال: فلان جيد المشورة(9).

مما تقدم يتبين أن الإشارة تدور معانيها في اللغة بين الإظهار والإيماء، لما هو خفي غير واضح.

الإشارة اصطلاحاً: لما كانت الإشارة من الدلالات التي اتفق حولها الجمهور والحنفية معنى ومبنى، لذا جاءت تعريفاتهم متقاربة في معانيها، أذكر منها:

1_ هي دلالة اللفظ على معنى لازم ، لكنه غير مقصود للمتكلم ، وهذا المعنى لا يتوقف عليه صدق الكلام ، ولا صحته (10)

2_ هي: دلالة اللفظ على حكم ليس مقصوداً ، ولا سيق النص له، ولكنه لازم للحكم، لإفادته المعنى الذي من أجله سيق، وليس بظاهر من كل وجه (١١)

قال الامام الغزالي في بيانه لدلالة الاشارة: كما أن المتكلم قد يفهم بحركته واشارته، في اثناء كلامه، ما لايدل عليه اللفظ نفسه، فيسمى اشارة، فكذلك قد يتبع اللفظ ما لا يقصد به وينبني عليه(12).

وسميت هذه الدلالة بالإشارة، لأن السامع عادة ينصرف فهمه على المعنى الظاهر للنص، فكأنه قد غفل عما في ضمنه، وكأن النص يشير إليه وينبهه على معناه الخفي(13) ، لذلك جاء تشبيه الاصوليون لهذه الدلالة كرجل ينظر الى شيء، ويدرك معه غيره بإشارة لحظاته(14).

ومن خلال التعريفات السابقة للإشارة نفهم بأنها: إفادة اللفظ لحكم، أو معنى، تبعي، غير مقصود أصالة، ولا سيق له اللفظ، لكنه لازم للمعنى او الحكم، الذي من أجله جاء النص، فلا تدل على المعنى بنفس العبارة والصيغة، وانما توميء الى المعنى المراد بطريق الالتزام.

بعد بيان معنى الإشارة لابد لي أن أعرج على تقسيم الاصوليين لمنطوق النص، للوقوف على موقع دلالة الإشارة بينها، فقد فقسم المتكلمون(15) منطوق النص إلى: صريح، وغير صريح(16) ، وقد ثبت بالاستقراء أن المنطوق غير الصريح عندهم أنواع ثلاثة: دلالة اقتضاء، ودلالة إيماء، ودلالة إشارة، لأن المدلول عليه بالالتزام إما أن يكون مقصوداً للمتكلم، ويتوقف عليه صدق الكلام وصحته، عقلا أو شرعاً، فيسمى دلالة اقتضاء، او لايتوقف عليه ذلك لكن يعلل الحكم به، فيسمى ايماء او تنبيه، وإما أن لايكون مقصودا للمتكلم، لكنه لازم له فيسمى إشارة(17).

المبحث الاول: أحكام دلالة الإشارة

المطلب الاول: مراتب الإشارة

ذكر الاصوليون أن دلالة الإشارة تتفاوت قوة وضعف، وذلك راجع لوجه التلازم، فهي بهذا المعنى تقسم على قسمين:

القسم الأول: الإشارة الظاهرة: وهي التي لا يحتاج فهمها إلى قوة ودقة نظر، بل تفهم من السياق بأدنى تأمل(18).

مثالها: قوله تعالى: (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف)(19) ، فالآية الكريمة بينت بمنطوقها وعبارتها ايجاب نفقة الزوجة على الزوج، ودلت بإشارتها أن الاب هو من ينفق على الولد، وأن نسب الولد لأبيه، والدليل على ذلك اللام التي هي للتمليك، كما اشارت الاية أيضا ان الاب هو أحق بمال ابنه، فهذي المعاني والاشارات ظاهرة تعرف بأدنى نظر وتأمل(20).

القسم الثاني: الإشارة الغامضة أو الخفية: وهي التي يحتاج الوقوف عليها ومعرفتها إلى زيادة فكر، وتعمق في التأمل والنظر لخفائها(21).

مثالها: قوله تعالى: (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)(22) ، مع قوله تعالى: (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين)(23) ، في أن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر، وهذه إشارة غامضة، وأن من وقف عليها هو عبدالله بن عباس رضي الله عنه، لما تميز به من دقة الفهم، وقد خفي هذا الحكم على الصحابة، فلما بينه لهم وأظهره، قبلوه منه(24) ، فإن فهم مثل هذه الإشارات إنما ينبع من صفاء القريحة وكمال قوة الذكاء.

المطلب الثاني: حجية دلالة الإشارة

لا خلاف بين الاصوليين في حجية دلالة الإشارة، والاعتماد عليها والاعتداد بها، في إفادتها المعاني الثانوية للنص القرآني، إلا أنهم اختلفوا في قطعية دلالتها وظنيتها على مذهبين:

المذهب الأول: أن الحكم أو المعنى الذي ثبت بإشارة النص، يتردد بين القطعية والظنية، فمنه ما يكون معناه قطعياً، إذا لم يكن هناك أحتمال ناشيء عن دليل، ومنه ما يكون ظنياً، وهذا عندما يكون المعنى محتملاً للحقيقة والمجاز، في إرادة الكلام، وهذا مذهب جمهور الاصوليين(25) ، يقول الإمام السرخسي: إن الإشارة من العبارة بمنزلة الكناية والتعريض من التصريح، أو بمنزلة المشكل من الواضح، فمنه ما يكون موجباً للعلم قطعاً، بمنزلة الثابت بالعبارة، ومنه ما لايكون موجباً للعلم، وذلك عند اشتراك الحقيقة والمجاز في الاحتمال مراداً بالكلام(26).

يتبين أن اصحاب هذا القول يرون أن الأصل في الاشارة عندهم، إفادتها للقطع إلا إذا وجد صارف لها عن القطع الى الظن.

المذهب الثاني: أن دلالة الإشارة كالعبارة الصريحة في إفادتها للقطع، فإن الإشارة من حيث هي كالعبارة، وحجتهم في ذلك: أن دلالة كلاً منهما لفظية، لذا فهي تفيد القطع، وأن ماذكر في بعض الصور، سببه العوارض التي لا تقدح في قطعية الإشارة، وإلى هذا ذهب متأخرو الحنفية(27).

والراجح: هو المذهب القائل بأن المعنى الإشاري يتردد بين القطع والظن، بحسب الاحوال، ولاسيما إذا علمنا أن الاصوليين قد قررو أن إشارة النص دائرة بين الخفاء والظهور، فخفاء معناها يوجب ظنية دلالتها على المعنى أو الحكم، فما كانت إشارته ظاهرة جلية، أفاد القطع، وما كانت إشارته خفية غير واضحة أفاد الظن، ولأن الإشارة قد تتفاوت العقول في إدراكها، ولهذا لا تكون قطعية .

المطلب الثالث: ضوابط دلالة الإشارة

من خلال تعريفات الاصوليين للإشارة، وبيانهم لمعناها، تبين ان الإشارة تصح بشروط ثلاثة:

1_ أن يكون المعنى التبعي الذي تشير، إليه صحيحاً في نفسه

2_ أن لا يأتي في اللفظ ما يخالف ويضاد ذلك المعنى

3_ لابد أن يكون بينه وبين معنى اللفظ، الذي وضع لإفادته، قدر مشترك يفهم عن طريقه (28) فإذا ما أُيدت الإشارة بهذه الشروط، فهي إشارة صحيحة .

المطلب الرابع: أثر دلالات الألفاظ في استنباط المعاني

من المعلوم أن مبحث الدلالات اللفظية من اوسع المباحث الأصولية، بل وأهمها، وعده الإمام الغزالي عمدة المباحث(29)، لأنه مفتاح الاستنباط والاستدلال، والتعرف على المعاني الجلية والخفية، فهي مدخل رئيس لمعرفة الطرق التي يتوصل بها المجتهد الباحث المستدل إلى مقاصد الأحكام، لأن الألفاظ قوالب المعاني، وكما قال الزركشي: الالفاظ ظروف حاملة للمعاني، ولها مراتب سنتعرف لها لاحقاً، فدلالات الالفاظ هي الأصل والاساس، في فهم القرآن الكريم، واستنباط معانيه، كما أن فهم هذه الدلالات، وتطبيقها يمنع الخلل، والخطأ، في تفسير القرآن، ويؤدي إلى استنباط معان زائدة، وتابعة للنص، استنباطاً صحيحاً، وسليماً، وهذا يمثل أثراً اساسياً واصيلاً، في تفسير القرآن، ودلالة الالفاظ هي من تؤدي إلى هذا الأثر المبارك، إذ المعاني المستفادة من الألفاظ تارة تكون من جهة النطق الصريح،

وتارة من جهة المفهوم والتلويح، وتتبع هذا السياق مقصد رباني، دعا إليه السياق القرآني، إذ أمرنا الله بتدبر آيات كتابه فقال: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا أياته وليتذكر أولوا الالباب)(30) ، ولما كان التدبر مأموراً به بنص القرآن، والتدبر: ما هو الا التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة(31).و أن من أركان التدبر الأساسية الوقوف مع الفاظ الآيات، والتأمل فيها، فيدخل في هذا التفكر، والتأمل، والتفسير، والاستنباط(32)، ووسيلة ذلك ، معرفة دلالالة الالفاظ العربية على معانيها، وبيان أثارها، وجميع ما ترمي إليه، والاسترشاد بضوابطها لتقعيدها وتنزيلها، ولا يمكن أن نصل إلى المعاني إلا بمعرفة دلالاتها(33) ، ومعلوم أن الاستنباط الصحيح والسليم لمعاني وأحكام القرآن يتوقف على: المعرفة الدقيقة والتامة للقواعد اللغوية ، التي تتعلق بوضع الالفاظ لمعانيها، وتوضيح تلك المعاني وخفائها، وكيفية دلالتها على معانيها(34) ، من أجل ذلك أهتم الاصوليون باللفظ العربي من حيث دلالته على معناه، لأنه العمدة في عملهم، ومناط الحكم الشرعي، لذلك أفاضوا ببيان دلالة الالفاظ، ووضعوا الضوابط والقواعد لها، لأن هذه القواعد والضوابط اللغوية تشكل منهجاً، وقانوناً كليا وعاما، يستدل عليه المجتهد حال استنباطه للمعاني من النصوص، وفي تفسيره للقرآن، لذلك وضعوا القواعد اللغوية الاصولية، والتي منها دلالات الالفاظ، التي تعرف بكونها ترسم منهج الاجتهاد، وتبنى على استثمار طاقات النص كافة في دلالته على المعنى، فمبحث دلالة الالفاظ أمر محمود لكونه يقوم على بعث الروح في النص القرآني، وجعله يتجدد، ويتجسد منطلقاً من الواقع المعاش، ومن النوازل والحوادث المتكررة في كل عصر، فلا يمكن لأي عالم أن يستنبط معنى أو حكم، من كتاب الله، دون ان يكون مزوداً بمعرفة دلالات الالفاظ، لأن اللفظ لم يقصد لذاته، وانما يستدل به على مراد الشارع، فإرادة المعنى أكد من إرادة اللفظ، وهذا ما أكده الامام ابن القيم بقوله: (مما جرت به العادة في كل من خاطب قوما بخطبة أو دارسهم علما أو بلغهم رسالة وإن حرصه وحرصهم على معرفة مراده أعظم من حرصهم على مجرد حفظ ألفاظه ولهذا يضبط الناس من معاني المتكلم أكثر مما يضبطونه من لفظه فإن المقتضى لضبط المعنى أقوى من المقتضى لحفظ اللفظ لأنه هو المقصود واللفظ وسيلة إليه وإن كانا مقصودين فالمعنى أعظم المقصودين والقدرة عليه أقوى فاجتمع عليه قوة الداعي وقوة القدرة وشدة الحاجة)(35)،

فالكلام يعتنى ويهتم به، ليدلنا على المعنى، وليفهم عنه القصد، وقد اعتنى الاصوليون بدلالة المنطوق والمفهوم، لأن دلالة الالفاظ على المعاني، قد تكون بطريق المطابقة (36) أو التضمن (37) أو الالتزام(38)، فقد يكون المعنى مأخوذاً من منطوق الكلام المتلفظ به، وقد يكون مأخوذاً من معقول النص وروحه، فيدلنا النص على معان أخرى تبعية، وليست معان مأخوذة أصاله، كما في دلالة الإشارة، فإن معانيها وأحكامها لم تؤخذ من لفظ النص أو عبارته، وإنما من معقوله ولوازمه (39).

المبحث الثاني: الإشارات التربوية والنفسية في النصوص القرآنية

إن نصوص القرآن الكريم تمتعت بحصانة لم تكتب لكتاب غير كتاب الله أبداً، فكانت نصوصه وألفاظه صالحة لكل زمان ومكان، ومنها يُستقى كل ما يستجد من غير إقصاء لحادثة دون أخرى، ولذا قال الحق تعالى: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)(40)، ومن تلك الجوانب المستفادة الجوانب التربوية، والنفسية، فقد تعرض القرآن لوصف أحوال النفس المختلفة، وبين مرضها، وطرق تهذيبها، وعلاجها، فاهتم بنفسية الإنسان بإشارات ربانية جليلة ، إذ صيغت هذه الإشارات صياغة جمالية يستفيد منها الإنسان في تهذيب أخلاقه، وتقويم سلوكه، وتربية نفسه على وفق منظور قرآني صحيح، لذلك جاء هذا المبحث للكشف عن حقائق نفسية وتربوية حوتها إشارات النصوص القرآنية، وتقديم نماذج من هذا الجمال القرآني ،وربط هذه الإشارات المستنبطة من النص القرآني بأحدث ما توصلت إليه النظريات الحديثة في معارج العلم، وبما يبين مسايرة القرآن للتطور الحضاري والعلمي، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: نماذج من الإشارات التربوية المستنبطة من النصوص القرآنية

الفرع الأول: فضل العلم ومكانته

العلم هو عصب الحياة وبه قوامها، وقائد الإنسان وموجهه إلى سبل السعادة والسيادة والرقي، فبه تتطور الأمم وتتقدم، وبخلافه تنهار وتتراجع، وإلى هذه المعاني اشارت جملة من الآيات القرآنية، مبينة حقيقة العلم، وبيان فضله، ومن ذلك:

قوله تعالى:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ، كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى)(41).

قوله تعالى :(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ)(42) .

بدأ الوحي كلام السماء ببيان قوام الحياة، ومهنة المخلوقين وحثهم إلى أفضل الصفات وأرقاها، وبها يُعرف الباري وصفاته، فمن كانت هذه صفاته استحق سياق القرآن مع من يشهد لله بالوحدانية.

قال تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ)(43)، ثم علق تعالى رقي الكمالات وإكرام الأسم وعلو شأنها بمنزلتها العلمية، فمن قرأ ساد، ولذا قال: (إقرأ وربك الأكرم)، إشارة منه تعالى أن الله يكرم الأمم العلمية ويرفع شأنها بغض النظر عن دينها وانتمائها، وهذا هو محض العدالة الالهية، فابتداء نزول القرآن بالدعوة إلى العلم، له وقع عظيم وأثر تربوي بالغ في نفوس المسلمين، لأن ابتداء نزوله بآيات تربوية فيها إشارة إلى أن أهم أهداف القرآن هو تربية الإنسان بأسلوب فكري وحضاري، وذلك عن طريق الإطلاع، والقراءة والتعلم، والملاحظة العلمية لخلق الإنسان، فلم يؤمر الإنسان بطلب شيء والزيادة منه إلا العلم، ، فقد أشارت الآية الأولى إلى نوعي القراءة، فالقراءة إما ان تكون من متلو او مكتوب، وفي هذه الآية قد جمع الله بين القراءة ، مع التعليم بالقلم(44).

أما الآية الثانية فقد ذكر الله عز وجل في سورة النمل فضله على داود وسليمان عليهم السلام، بأن منحهم العلم الواسع العظيم، وهو علم الأحكام والشرائع، والقضاء والفصل بين الناس، حتى قال كل منهما الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده بهذا العلم الواسع والمعارف المفيدة، وقد أشارت الآية الكريمة على أهمية العلم ومكانته وأنه أساس كل رفعة وهو السلاح الذي يعيد ديننا وأرضنا وثقافتنا، وأن العلم هو من أجل النعم وأجزل القِسم، ومن أوتيه فقد حاز فضل التقدم على كثير من الخلق، وأن البون شاسع بين العالم والجاهل، كما أشارت الآية الى أن الدول التي تبنى وتؤسس على العلم وتحتفي بأهله وتتوسع في فنونه، ويمتلك زمام الحكم فيها اصحاب الكفاءة والمعرفة فهي من دون أدنى شك تمتلك عناصر القوة والاستقرار والرقي، والتطور الحضاري والعمراني(45) .
ومن مجموع الآيتين الكريمتين يمكن ملاحظة الآتي:
1_ أن الآية الاولى قد أشارت إلى أهمية العلم ودوره على الفرد وبناء شخصيته وتطوره، والذي سينعكس بدوره على سعي الفرد لبناء مجتمعه على أسس من التطور والرقي، بخلاف من لا يملك العلم فإنه سيكون معول هدم لمجتمعه
2_ أما الآية الثانية فكانت الإشارات فيها لبيان دور العلم على تطور الدول والمجتمعات، فأساس تطور المجتمعات وبناء الدول الحضارية القوية وتطورها المعماري وفي جميع النواحي لا يكون إلا بالعلم
وهذه الأهمية التي أشار إليها القرآن الكريم هي ما أكده العلماء والتربويون عندما تكلموا عن دور العلم وأهميته ومكانته، فقد بينوا أن العلم يشكل السبيل الاول لأكتشاف الكون ومعرفة تفاصيله وخباياه، وهذه المعرفة تعود بالنفع والفائدة على كافة نواحي الحياة، وساعدت العلوم الكونية على حل الكثير من المشكلات في

النواحي الطبية والمناخية والتقنيات والتطبيقات الحديثة، فالعلم يعود بالنفع على الفرد والمجتمع ، اما الفرد فإنه يزوده بالمعارف الجديدة في كل مرة مما يساعده على حل مشكلاته بسلاسة، ويعمل على إكسابه مكانة اجتماعية مرموقة، إذ كلما زادت مكانته العلمية زاد احترام الناس له، ويساعده العلم على وضع اهدافه والعمل على تحقيقها (46)،مما يجعله أكثر سعادة، أما أهمية العلم للمجتمع فهو يحارب الظواهر الرجعية السيئة، وينشر الاخلاق الفاضلة والسجايا الحميدة، فتزداد المجتمعات قوة وتطور، فلا يمكن لأي مجتمع أن يتقدم من غير علم، فهو الذي يساعد على راحة الانسان ورفاهيته(47).

مما سبق يتبين لنا أن الآيتين الكريمتين قد تطابقتا مع أقوال العلماء والتربويين في بيان اهمية العلم في بناء الانسان الذي يتمتع بأرقى الصفات، وبناء الدول القوية الحضارية، كما تبين لنا أن الآيتين قد حوتا بالاضافة للإشارات التربوية إشارة نفسية ايضاً وهي مساعدة العلم للإنسان على الوصول إلى الراحة النفسية، والتي من أهم مظاهرها التوافق الإجتماعي والنجاح في العمل وحسن الخلق، لأن من أهم اسباب الوصول الى الراحة النفسية تحقيق الإنسان لأهدافه وطموحاته(48)، ليكون بذلك قد حقق ذاته وأثبت وجوده، مما يجعله أكثر سعادة، واقبالاً على الحياة، واكثر انتاجاً، ولا يتحقق ذلك الا بالعلم، وهذا ما أكده القرآن عندما دعا الى العلم وبين مكانته وقيمته للفرد والمجتمع.

الفرع الثاني: الإشارة إلى مهارة اللعب وأثرها في التنشئة

إن الأطفال كثيراً ما يخبروننا بما يشعرون به وما يفكرون فيه من خلال لعبهم التمثيلي الحر، لذا يعد اللعب أداة رئيسية من أدوات التنشئة الإجتماعية، كما يساعد على تشكيل شخصية الطفل بجميع أبعاها المختلفة وبدرجة كبيرة، هذا ما بينه القرآن الكريم إذ قال تعالى: (**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)(49) أي ينشط ويلعب بما نلعب به من السباق والمناضلة بالسهام(50). فأخوة يوسف عليه السلام عندما أرادوا إقناع أبيهم يعقوب عليه السلام، لأخذ يوسف معهم كانت حجتهم الكافية والمقنعة هي كي يلعب ويتعلم عن طريق اللعب السباق والمناضلة، وفي هذا إشارة إلى أهمية اللعب للطفل لكونها حجة كافية أقنعت سيدنا يعقوب عليه السلام، فهو هدف جمع بين المعرفة والمهارة والتعلم باللعب، فتعليمه رمي السهام إنما يكون عن طريق اللعب، فهو يشجع المتعلم ويريح المعلم ويدعوه إلى أكتشاف الألعاب التعليمية الهادفة(51). فالآية أشارت إلى هدف تربوي وهو أهمية اللعب للطفل في تشكيل شخصيته وتنشئته الاجتماعية السليمة، وأشارت ايضاً إلى إسلوب من الأساليب التربوية الحديثة المتبعة في طرائق التدريس، والتي ينادي بها

التربويون وعلماء النفس، وهو: إسلوب التعلم باللعب، إذ قد أثبتت الدراسات الحديثة حول نمو الاطفال وتطورهم أن اللعب عنصر مهم في تشكيل شخصية الطفل، وأن استخدام الطفل لحواسه المختلفة هو مفتاح التعلم والتطور، وأثبتت هذه الدراسات القيمة الكبيرة للعب وهي التي أشار إليها القرآن الكريم، كما وبينت أن اللعب يعد شكلاً رئيسياً لنشاط الطفل، ينمو فيه التفكير والادراك والتخيل على الكلام، والانفعالات، والخصال الخلقية بدرجة كبيرة، واللعب في حد ذاته ينطوي على قيمة تربوية ولكنه يكتسب هذه القيمة إذا ما تم تنظيمه وتوجيهه تربوياً، فلا يمكن أن تترك عملية نمو الطفل للصدفة، وانما يتحقق النمو السليم في بيئة تربوية واعية، كما كشفت النظريات الحديثة في التعلم أسلوب جديد ومجدي وهو التعلم باللعب(52).

ويعرف إسلوب التعلم باللعب بأنه: نشاط موجه يقوم به الأطفال لتنمية سلوكهم وقدراتهم العقلية والجسمية، والوجدانية، ويحقق في الوقت نفسه المتعة والتسلية، فإسلوب التعلم باللعب هو استغلال أنشطة اللعب في إكتساب المعرفة، وتقريب مبادىء العلم للأطفال، وتوسيع أفاقهم المعرفية بطريقة تعلم ممتعة، ومشوقة، وهذا سر نجاحها، وهو ايضاً يتناسب مع كافة المراحل التعليمية ويتطلب حسن التخطيط المسبق للدرس(53). ولهذا الإسلوب التربوي في طريقة التعلم فوائد عديدة يجنيها المتعلم منها:

1 _ يثبت ذاته من خلال التفوق على الاخرين سواء كان فردياً ام في نطاق الجماعة

2_ يتعلم من خلاله قيم عليا منها: التعاون، واحترام حقوق الأخرين.

3 _ يعلمه الالتزام بالقواعد المحددة، واحترام القوانين

4_ يساعد الطفل على تنشيط قدراته العقلية، وتحسين موهبته الإبداعية

5_ يكتسب الطفل من خلاله الثقة بالنفس ويسهل عليه اكتشاف قدراته واختبارها (54)

ومما سبق يتبين لنا أن الآية أكدت على أهمية اللعب في تربية الطفل وتعليمه، وأن الالعاب تساعد على تقريب مبادىء العلم إلى الاطفال، وتعينهم على أكتساب المعرفة بإسلوب ممتع وحضاري وذا قيمة عليا، وهذا ما تؤكده النظريات الحديثة، فهو تأكيد للحقائق التي وردت في كتاب الله والتي نزلت على الرسول عليه الصلاة والسلام قبل قرون طويلة والتي لايزال العلم الحديث يحاول الوصول الى معانيها وأسرارها.

الفرع الثالث: أثر القدوة في السلوك الإجتماعي والتعليم

يعد المنهج الإسلامي منهجاً متكاملاً ومثالياً في تربية الطفل، والحفاظ عليه، وحمايته من الانحرافات الخطيرة المنتشرة، وقد اتبع عدة اساليب لتحقيق هذه الحماية كان من أهمها أسلوب التربية بالقدوة، إذ هي جوهر واساس كل طرية للتربية، لأن الطفل لابد له من قدوة في والديه او مدرسته وكذلك مجتمعه، يتأسى بهم في أحواله جميعها، ويتشرب من خلالها المبادىء التربوية، ويسير على خطاها، كما أن القدوة تؤدي الدور الأكبر في التربية والتوجيه، لهذا كان من أعظم الاساليب التربوية في المنظور الإسلامي، ودعا القرآن إلى اتباعه في آياتِ منها:

قوله تعالى: (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)(55)

من أهم الإشارات التربوية المستفادة من النص القرآني، هو أمر الله عز وجل لنا بإتخاذ قدوة صالحة وأسوة حسنة، تكون دافعاً لنا بالمبادرة الى الخير والإحسان، ونقتدي بمواقفهم المشرقة في مواجهة محن الحياة وعقباتها، ففي الآية دلالة واضحة بضرورة الإتباع، وأهمية التأسي بمن أتصفوا بمعاني الصفات الحميدة والسجايا الكريمة، ومعلوم شرعاً أن أول من يجب علينا إتباع هديه واقتفاء أثره، هو سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام، فقد كان مبلغ عن الله منهجه لصيانة حركة الإنسان في حياته، فهو مبلغ وأسوة سلوكية، لذلك قالت السيدة عائشة عنه: (كان خلقه القرآن)(56) ، ويمكن ان نستنتج من الآية القرآنية أهم الإشارات التربوية، التي تضمنتها، والتي منها:

1_ إن الأصل في ديننا هو أتباع طريق الصالحين المهتدين

2_ إقتفاء أثر الصالحين واتخاذهم قدوة عملية في الحياة هو ضمان النجاة في الدارين، وحزام أمان من الفتن وشرور الزمن، وهو السبيل للمبادرة الى فعل الطاعات والخيرات

3_ في اتخاذ المثل الحي والقدوة الصالحة، إثارة في نفس العاقل قدراً من الاعجاب والمحبة، فيميل إلى الخير ويتطلع الى مراتب الكمال، ويحاول تقليد ما أعجب به، ويعمل مثله، حتى يصل درجة الكمال (57)

4_ اتخاذ القدوة الصالحة التي تتحلى بالقيم والاخلاق والفضائل السامية، تعطي قناعة بأن بلوغ الفضائل من الامور الممكنة، والتي هي في متناول القدرات الإنسانية

5_ إن الانبياء والمرسلين عليهم السلام، جميعهم كانوا قدوة صالحة، وأسوة حسنة، لأقوامهم وهذا دليل على عظم وأهمية إتخاذ القدوة الحسنة (58)

إن اتخاذ المثل الحي والقدوة الصالحة، التي تتصف بصفات حميدة هو من الأساليب الحديثة في التربية والتعليم، حيث ربطت بين سرعة التعلم وجودته وبين إتخاذ المثل الأعلى، إذ تعتبر القدوة من أكثر وسائل التربية تأثيراً في حياة الطفل، وأشدها أثراً على الإطلاق، وأعظمها أثراً في نفسية المتعلم، وهي التعليم من خلال القدوة أو النمذجة، إذ تعد من الأساليب التعليمية التي يوظف المتعلم من خلالها العديد من الحواس، والتي من أسماها وأهمها حاسة البصر، فنظرية التعلم الإجتماعي أو التعلم بالنمذجة تؤكد على أهمية التفاعل الإجتماعي في حدوث التعلم، حيث قام العالم(باندورا) بتقديم بحث يحمل عنوان التعلم الإجتماعي من خلال المحاكاة، أكد فيه أن معظم السلوك الإنساني متعلم بإتباع نموذج أو مثال حي وواقعي، فبملاحظة الأخرين يتطور فكره عن كيفية تكون سلوك ما(59)، ومن وجهة نظره فإن التعلم المعرفي يعني أن المعلومات التي نحصل عليها من خلال ملاحظة الأشياء، وسلوك من هم حولنا تؤثر في طريقة تعرفنا (60)، وإن استخدام التعلم بالنمذجة أو القدوة يؤدي إلى تنمية العادات والقيم والإتجاهات لدى المتعلمين، ويعدل سلوكهم، وينمي المهارات الفنية والرياضية لديهم، فالمتعلم يأخذ من والديه أو معلمه أو احد أقرانه، وما يشاهد من مواقف حياتية نماذج يقتدي بها في معظم ما يقوم به من تصرفات، فإن القدوة إذا كانت حسنة فإن الأمل يكون كبيراً في إصلاح الطفل، اما اذا كانت القدوة سيئة فإن الإرجح هو فساد الطفل، لأن قدرة الطفل على المحاكاة الواعية وغير الواعية كبيرة جداً، فهو يلتقط كل ما يدور حوله وكل ما يشاهده ويسمعه، بوعي وبغيره، فالطفل الذي يرى أمه أو اباه يكذب لن يكون صادقاً والعكس صحيح(61). ولهذه النظرية العديد من التطبيقات التربوية لأن الميزة الكبرى لهذا النوع من التعليم على غيره من أشكال التعلم أنه يقدم للمتعلم سيناريو متكامل للسلوك الذي يحتوي على أنواع السلوك المطلوبة، فالتعليم في الصف يمكن تسهيله بدرجة كبيرة بأن تقدم النماذج الملائمة، فيستطيع المعلم تقديم العديد من النماذج لحث التلاميذ على إتباع سلوك القدوة(62).

ويتضح لنا بعد هذا العرض أن النظرية بينت أهمية القدوة أو النمذجة بالآتي:

1_ يعد القدوة من العناصر المهمة والفعالة في تشكيل شخصية الإنسان وخاصة في مرحلة الطفولة

2_ القدوة عبارة عن تجسيد لمعاني القيم والفضائل وأمثلة تطبيقية واقعية لها، إذ أن القيم مفاهيم مجردة يصعب على المتعلم فهمها، وتحديد مظاهرها السلوكية نظرياً، بل لابد من إظهارها في نماذج القدوة العملية لكي تتضح معانيها وتظهر حية وواقعية مما يسهل على الطفل تمثلها

فهذه النظرية أقرب إلى الحقيقة منها إلى النظرية لوجود شواهد تعزز ما ذهبت إليه النظرية من القرآن والسنة النبوية، وهي في ذاتها تطبيق لما أشارت إليه الآية القرآنية التي نزلت قبل ظهور النظرية بألاف السنين لكن لتؤكد أن القرآن كتاب هداية وإرشاد وتثبت صلاحيته ومواكبته لجميع التطورات وفي جميع الأزمان.

المطلب الثاني: نماذج من الإشارات النفسية المستنبطة من النصوص القرآنية

إن للفسلجة النفسية التي يتمتع بها الإنسان فلسفة عظيمة لا يمكن الوصول إلى أعماقها ومبتغاها دون النظر في النصوص القرآنية التي تحدثت عنها تصريحاً أو تلميحاً، وها أنا أقتضب عدة آيات اشارة إشارات واضحة تلميحاً لأهداف وسبل نفسية منها:

الفرع الأول: دور الراحة النفسية في فن التواصل والتأثير

قال تعالى: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي)(63)

أشارت الآية الكريمة أن التحلي بالأرتياح النفسي، والطمأنينة الراسخة، تنعكس بصورة مباشرة على حسن صياغة الرسالة، إذ إن وضوحها، والقدرة على فهمها ومن ثم فك رموزها، والتفاعل معها، وإيصالها للناس والتأثير فيهم كل ذلك يتأثر بالحالة النفسية لأطراف الإتصال اللغوي، وأشارت إلى أن الاتصال اللغوي الناجح يتطلب الهدوء النفسي، وانشراح الصدر، لينجح المرسل في إيصال مقاصده إلى متلقيه، وان الخوف والقلق متغيرات نفسية تطرأ على الفرد عند تعرضه لموقف معين، فتكون معوقاً من معوقات الاتصال اللغوي، لذلك فإن الله عز وجل قد أخبرنا أن هذا ما طلبه موسى عليه السلام من ربه بهذه الآية(64).

وبالرجوع الى علماء النفس وكلامهم عن الراحة النفسية ومعرفة علاقتها بنجاح التواصل اللغوي بين الأطراف ومدى أهميتها في التأثير بالاخرين من عدمها، وكذلك معرفة مدى توافقها مع إشارات القرآن، لابد اولا من بيان معنى الراحة النفسية أو الصحة النفسية كما يسميها علماء النفس، إذ تُعرف بأنها: التوافق والتسامح تجاه الذات، والشعور بالسكينة الداخلية والطمأنينة، كما أنها تفتح أفاقاً جديدة للفرد، وتتيح له الفرص الكثيرة لاكتساب الخبرات والمعاراف المختلفة (65). ويؤكد علماء النفس أن الراحة النفسية مطلب مهم وضروري لتحقيق الاستقرار النفسي، ويبعد عنه الامراض والاضطرابات النفسية، ، ويؤدي ذلك الى تحقيق توازن بين الصحة النفسية والجسمية والاجتماعية، ويحافظ على توازن الشخص وديمومته، كما أن الشخص الذي يتمتع بالراحة النفسية يكون أكثر تمتعاً

بعلاقات اجتماعية وأسرية سليمة، ويزيد من قدرته على الانتاج والتعلم، وعلى النقيض عند فقدانها تجعله في حالة معاناة وعدم استقرار، وتعرضه لمشكلات على جميع الجوانب العاطفية والذاتية والسلوكية، وتؤثر في أداء الفرد العائلي والاكاديمي والاجتماعي، إذ تزعزع استقراره النفسي وتدخله في دوامة من التوتر والقلق(66)، فإذا ما تعرض الشخص لحالة من الخوف والقلق والإضطراب، فإنه سيؤثر على هدوءه النفسي وينعكس بدوره على مستوى أدائه وتواصله، ومن ثم قدرته على تحقيق اهدافه التي تتمثل بإيصال رسالته وكفاءته في ذلك، تلك الكفاءة التي تتناسب مع إمكانية الإنسان وقدرته، وكذلك المساهمة في محيطه بإيجابية(67)، وللراحة النفسية أثار إيجابية كبيرة تعود على صاحبها بكل ما هو جيد، وتظهر أثاراها جلية على شخصية الفرد من خلال التفاعل والتوافق الاجتماعي، والثقة المتبادلة للفرد مع الاخرين وإمكانية تكوين الصداقات والعلاقات الاجتماعية السليمة(68) ، وبالتالي شخص مؤثر وايجابي وقادر على التأثير في الاخرين وايصال رسالته بسهولة ويسر، كما تجعله خالياً من التوترات والصراعات، التي تعتبر من أهم المعوقات التي تقف في طريق تواصله وتفاعله مع الآخرين، وتجعله اكثر نشاط وحيوية ومسايرة واقبالاً على الحياة، وتساعده على فهم نفسه وفهم الاخرين، وإدراك ما يقوم به من اعمال، والوعي بتحمل مسؤلياته الموكلة له وبالتالي الأداء الجيد في عمله(69).

نستنتج من ذلك أن الشخص كي يكون ناجحاً في ايصال مقصده ومؤثراً في المتلقي، سواء كان معلماً ام داعية وغيرهما، لابد وأن يتمتع بأساس نفسي متين لينجح في إيصال ما يقصده إلى متلقيه، وإن من أهم المعوقات التي تعترضه وتؤثر في عملية تواصله وقدرته على التأثر وإقامة علاقات إجتماعية ناجحة، هو القلق والتوتر الناتج عن إختلال بالراحة او الصحة النفسية لدى الفرد.

الفرع الثاني: الهلع وكيفية علاجه

ضم القرآن القرآن الكريم إشارات نفسية تحدثت عن وصف بعض الظواهر والامراض للنفس البشرية، في حالة الإضطراب والصحة النفسية، وقدمت الحلول لبعض المشكلات النفسية المعاصرة، قبل أن يتناولها علم النفس والطب النفسي بقرون طويلة، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في القرآن الكريم من إشارات نفسية عالجت بعض الاضطرابات والتي دخلت مؤخراً ضمن أولويات الطب النفسي الحديث ، وهو (الهلع) وقبل عرض الآيات القرآنية لابد من تعريف الهلع، ومعرفة اسبابه، وطرق التعامل مع نوباته، وكيفية علاجه، من منظور علماء النفس، ومن ثم بيان كيف عالج القرآن هذا المرض.

يُعرف الهلع بأنه: (مرحلة محددة مفاجئة ومعاودة لخوف أو رعب، مصحوب غالباً بالشعور أثناء حدوث النوبة، بظهور مجموعة من الأعراض كالإحساس بإنقطاع الأنفاس، وزيادة دقات القلب، وآلام في الصدر، الإحساس بالغربة، والاختناق، والخوف من أن يصبح الفرد مجنوناً، أو أن يفقد التحكم بالذات)(70).

ويعد الهلع من الاضطرابات كثيرة الإنتشار، حيث لاحظ الأطباء مؤخراً زيادة كبيرة في الأشخاص الذين يعانون من نوبات القلب والهلع الزائد، وإن الاشخاص الذين يعانون من أمراض نفسية تقدر بحوالي ثلث سكان العالم، حسب تقارير منظمة الصحة العالمية، وإن ما يقرب من 12% منهم يعانون من إضطراب الهلع(71)، كما لاحظ الأطباء مؤخراً زيادة كبيرة في المرضى الذين يعانون من حالات غامضة لايعرف مصدرها، تتمثل بنوبات من القلق والرعب الهائل مدتها قصيرة لكنها مصحوبة بإعراض مرضية مزعجة تدفع المرضى للبحث عن علاج بالمستشفيات، كما أن نسبة 12% من المصابين بالهلع تعني أن هناك ملايين من المرضى يعانون من إضطراب نفسي قابل للعلاج، وقد شغل الاطباء النفسيين من أجل التوصل لعلاج الهلع، وتمثل العلاج بتناول الادوية النفسية والعقاقير الطبية المهدئة والمضادة للإكتئاب، وكذلك إستخدام وسائل واساليب نفسية أخرى عن طريق جلسات العلاج النفسي الفردية والجماعية للمريض مع إسرته، واستخدام اساليب التدريب على الاسترخاء وتعريضه لبعض المواقف، بغية التخلص من الأمراض(72).أما العلاج القرآني لهذا الاضطراب فقد ورد ذكره في قوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، إِلَّا الْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ، وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ)(73)

فالقرآن الكريم في هذه الآيات أشار إلى نفسية الإنسان الذي يعيش دون منهج بقوله: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا)

أي أن الانسان الذي يكون بلا منهج يتبعه ويسير عليه إن رأى شراً أو واجه شر أصابه الهلع الذي هو أعلى درجات الخوف، وبالتالي فإنه لن يستطيع أن يقاوم بل سيستسلم، ويصبح الجبن هو اساس ومنهج حياته، وهذا يفسر لنا كيف أستُعبد الناس لألوف من السنين، بسبب خوفهم وجبنهم واستسلامهم لأنهم يسيرون بلا منهج، وهكذا تمض الآيات في وصفهم قال تعالى: (وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا)، أي أن الذين لا يتبعون منهج الله ويستكبرون وينسبون الفضل في كل شيء لأنفسهم وقدراتهم فإذا بهم يستخدمون الخير في إفساد الارض بدلا من إصلاحها، ويعيثون في ظلم الناس، أما من أتبع منهج الله فإنه إذا مسه الخير يعلم أن ذلك فضل من الله فيحمده،

وبعد هذا العرض لصورة الإنسان الذي يعيش متخبطاً بلا منهج محدد وواضح ويكون عرضة للهلع والخوف إن اصابه شر أو هدد به سقط مستسلماً خانعاً، وإن أصابه الخير فسد وأفسد في الأرض، ثم تضع الآيات القرآنية أساليب للوقاية من الهلع والخوف الشديد الزائد عن الحد بقوله تعالى: (إِلَّا الْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ)، اي أن المؤمن إذا طبق شرع الله ومنهجه الذي بينه ودعانا إليه، فلا يصيبنا هلع ولا خوف ولا اضطراب بل سنكون أقوياء في مواجهة محن الحياة وانكساراتها، بقلوب مؤمنة راضية، لأنه يعلم إن كان ضعيفا يواجه قويا فإن الله معه وهو أقوى من خصمه الذي يخافه والذي يتوعده بالشر، فلا يستسلم ولا يخاف بل على العكس من ذلك فإن إيمانه يزيده شجاعة وإقدام على مواجهة ما يتعرض له بشجاعة وثقة عالية بالنفس.

ثم تقدم الآية العلاج، إذ استثنت الآية المصلين من الإصابة من الهلع ومن أي اضطراب إذ ألم بهم شر، لأنهم يعرفون ما عليهم في اموالهم من حق وواجب للسائل والمحروم، وهم مؤمنون باليوم الآخر ويخافون من عذاب ربهم ويرعون ما يقطعونه من عهد، ويحتفظون بما اؤتمنوا عليه من أمانات، ويؤدون ما عندهم من شهادات على وجهها الحق(74). إن اختصاص المصلين بالذكر في الاستثناء وتكرار التنويه على الدوام على الصلاة، دليل على كون الصلاة مظهر من مظاهر الإيمان بالله ووسيلة لتصفية روح المؤمن وتنقية قلبه، لتصل به للراحة، لأن في الصلاة راحة تامة، وسكون وطمأنينة، وهذا ما أثبته العلم الحديث، ولهذا كان النبي محمد عليه الصلاة والسلام، إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، بل كان يقول: (أرحنا بها يا بلال)(75) وفي هذا إشارة إلى أن الصلاة تخفف الرعب، وتعطي المصلي طاقة إيجابية قوية، تجعله ثابتاً غير متزعزع، ولذا قال تعالى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) (76) وحافز يجعل المصلي يندفع في عمل الخير ويمتنع عن الشر فيكون ذلك منهج حياته بالتالي رضاه وطمأنينة نفسه، وقوته على مواجهة جميع الأقدار التي تعترضه خيرها وشرها برضا نفسي عميق، فيكون بذلك قد حصن نفسه من أي اضطراب أو أذى نفسي بما فيه الخوف الزائد مما يمكن أن يصيبه، فالقرآن الكريم بهذه الآيات المباركات قد قدم الوقاية والحل لمرض عصري غامض شغُل الأطباء النفسيين.

الخاتمة

الحمد لله الوهاب، للمجتهدين سبل الصواب، وعاى آله واصحابه ما استنبط معنى من كتاب،

وبعد.. فكان لدلالة الإشارة أثر بالغ ومهم في استنباط المعاني التربوية والنفسية، فلذا اجتمعت منها جملة من النتائج ألخصها بالآتي:

1_ إن دلالة الإشارة طريق لاستنباط المعاني الخفية ولا يمكن الوصول إليها بمجرد قراءة ألفاظها

2_ لا يتوقف طريق الإشارة على استنباط المعاني الشرعية بل طريق شامل لكل المعاني

3_ إن مثل هذه المعاني لا يمكن الشور عليها والوقوف على خفائها إلا بمسالك مطبقة من مجتهد عارف

4_ إن للقرآن الكريم مناهج تربوية وتوجيهات نفسية دلت عليها نصوص ألفاظه تلويحاً لا تصريحاً

5_ عالج القرآن الكريم قضايا المجتمع جميعها فكان حلاً لكل عائق وصدق القائل تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء)(77)

الهوامش

(1) أنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1/ص 53.

(2) أنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج4/ ص5.

(3) أنظر: ابن فارس، ، ج1/ص53.

(4) أنظر: الجرجاني،التعريفات، ج1 /ص9.

(5) أنظر: نكري، دستور العلماء، ج1/ص30.

(6) الجاحظ، البيان والتبيين،ج1 / ص 83

(7) أنظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ج11/ص277، وإبن منظور، لسان العرب، ج4 /ص437.

(8) أنظر: الجواهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2/ص704_705، والزبيدي، تاج العروس، ج12/ص252.

(9) أنظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ج11/ص277_ 279، و ابن منظور، ج4 /ص437_439.

(10) أنظر: الاصفهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، ج2/ص434، وابن أمير الحاج، التقرير والتحبير، ج1/ص111، والعطار،حاشية العطار شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ج1/ص337.

(11) أنظر: البخاري،كشف الأسرار، ج1/ص68.

(12) أنظر: الغزالي، المستصفى، ج1/ص263.

(13) أنظر: إبن أميرالحاج، الثقرير والتحبير، ج1/106.

(14) أنظر: البخاري،كشف الأسرار، ج1/ص69.

(15) وقد خالف الحنفية جمهور الاصوليين في تقسيمهم للدلالة، فقسموها إلى: عبارة النص، وإشارة النص ودلالة النص، واقتضاء النص. أنظر: البخاري،كشف الأسرار، ج1/ص68_69.

(16) الصريح هو: ما دل عليه اللفظ بالمطابقة أو التضمن، أي أن اللفظ قد وضع له. وغير الصريح هو: ما كان لازماً للفظ بحسب وضعه اللغوي، فدلالته عليه دلالة التزام، أي أن اللفظ مستلزم لذلك المعنى. أنظر: الصالح،تفسير النصوص، ص594.

(17) أنظر: الامدي،الإحكام في أصول الأحكام، ج3/ص64، والصالح، تفسير النصوص، ص595، وجفتجي، طرق دلالة الألفاظ على الأحكام المتفق عليها عند الأصوليين ، ص267.

(18) أنظر: إبن أميرالحاج،التقرير والتحبير ، ج1/ص107.

(19) سورة البقرة، من الآية: 233.

(20) أنظر: إبن أميرالحاج، التقرير والتحبير، ج1/ص107، والبخاري،كشف الأسرار، ج1/ص68.

(21) انظر: البخاري، كشف الأسرار، ج1/ ص68، السرخسي،أصول السرخسي، ج1/ص236، وإبن أمير الحاج، ج1/ص107.

(22) سورة الاحقاف، من الآية: 15.

(23) سورة البقرة، من الآية: 232.

(24) أنظر: السرخسي،أصول السرخسي، ج1/ ص235، والملا، أختلاف الأصوليين في طرق دلالات الألفاظ على معانيها وأثره في الأحكام الفقهية، 49_ 50.

(25) أنظر: السرخسي،أصول السرخسي، ج1/ص263، وغرايبة،إشارة النص ومدى الاستدلال بها في النصوص الشرعية والقانونية، ص29_ 30.

(26) أنظر: السرخسي، أصول السرخسي، ج1/ ص236.

(27) أنظر: ملا خسرو، مرآة الأصول شرح مرقاة الوصول، ج1/ص77، والصالح،تفسير النصوص ص97.
(28) أنظر: الحلبوسي، المنطوق عند الأصوليين، 384.
(29) أنظر: الغزالي، ج1/ص 180.
(30) سورة ص، الآية: 12.
(31) أنظر: حبنكة، قواعد التدبر الأمثل، ص4.
(32) أنظر: المطيري،دلالات الألفاظ الوضعية وأثرها في تدبر القرآن، ص14.
(33) أنظر: المطيري، دلالات الأفاظ وأثرها في التفسير، ص 24_ 25.
(34) أنظر: عبد الحميد، المنهج الأصولي في بيان أثر الدلالة في الحكم الشرعي، ص1.
(35) إبن القيم الجوزي، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ج2 /ص25
(36) هي: دلالة اللفظ على تمام معناه، الحقيقي، أو المجاز. أنظر: حبنكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، 29.
(37) هي: دلالة اللفظ على جزء من معناه، الحقيقي، أو المجازي. أنظر: حبنكة، ضوابط المعرفة واصول الاستدلال والمناظرة، 29.
(38) هي: دلالة اللفظ على بعض الخارج عن معناه الحقيقي، أو المجاز، لكنه لازم له ، عرفاً أو عقلاً. أنظر: حبنكة، ضوابط المعرفة واصول الاستدلال والمناظرة ، ص29.
(39) أنظر: الغزالي، المستصفى، ج1/ ص25 ، وابن قدامة، روضة الناظر وجنة المناظر، ج1 /ص71، وعبدالسلام،خلاصة القول في دلالة اللفظ والسياق، ص1.
(40) سورة الإنعام، من الآية: 38.
(41) سورة العلق، الايات: 1_6.
(42) سورة النمل، الآيات: 15_16.
(43) سورة ال عمران، من الآية: 18.
(44) أنظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج9/ ص13.
(45) أنظر: جبران، الإشارات التربوية في ضوء سورة النمل دراسة موضوعية، ص123.
(46) benefits of science , 2018
(47) أنظر: العابد، الصحة النفسية، معناها، علاماتها، دلالاتها، ص112.
(48) kafoumba , why is education so important in our life
(49) سورة يوسف، الآية: 12.
(50) أنظر: الجزائري، أيسر التفاسير، ج2/ ص 598، والزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 12/ ص220.
(51) أنظر: محمود،المضامين التربوية المستنبطة من سورة يوسف وتطبيقاتها التربوية، ص10.
(52) أنظر: اللبابيدي وخلايلة، سيكولوجية اللعب، ص 49
(53) أنظر: طوالبة ، طرائق التدريس، ص339.
(54) أنظر: السعدي،التجديد في التربية، ص204_207.
(55) سورة لقمان، من الآية: 15.
(56) إبن حنبل،مسند الإمام أحمد،ج41 /ص148.
(57) أنظر: حبنكة،الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص215 .

(58) أنظر: حبنكة،الخلاق الإسلامية وأسسها، ص215، ومحمد،الإشارات التربوية في سورة لقمان، ص62_63.
(59) أنظر: مندوة،نظرية التعلم، ص161
(60) أنظر: عبدالناصر، علم النفس التربوي بين النظرية والتطبيق، ص 122
(61) أنظر: الشيخ وعبدالرحمن،علم النفس التربوي بين المفهوم والنظرية، ص255.
(62) أنظر: غنام،كيف تتعامل بكفاءة مع نفسك ومع الأخرين، ص 211.
(63) سورة طه، الآيات: 25_26_27.
(64) أنظر: عباس،الدلالة النفسية في القرآن الكريم.. مقاربة في سيمياء التواصل، ص161.
(65) أنظر: صبحي،راحة البال والشباب، ص59_60.
(66) أنظر: باتل،الصحة النفسية للجميع، ص322.
(67) أنظر: حسني،النفس في الصحة والتربية والعلاج، ص7.
(68) أنظر: زهران،الصحة النفسية والعلاج النفسي، 13_14.
(69) أنظر: بن ناصر وبو جمعة، الصحة النفسية وعلاقتها بالأداء الوظيفي، ص158.
(70) American psychiatric association, 493 .
(71) أنظر: محمد، بناء برنامج علاجي معرفي سلوكي جماعي لخفض نوبات الهلع عند المصابين بفوبيا الأماكن المفتوحة ، ص22.
(72) أنظر: محمد، العلاج النفسي السلوكي لحالات القلق والتوتر النفسي والوسواس القهري، ص30، ومرجع اكلينكي ،ص1.
(73) سورة المعارج، الآيات: 19___27.
(74) أنظر: عزت،التفسير الحديث ، ج5/ص398 ، والشربيني، الإشارات النفسية في القرآن الكريم، 200.
(75) الطبراني،المعجم الكبير، ج6 /ص 277
(76) سورة البقرة، الآية: 45.

المصادر والمراجع

الأزهري، محمد بن محمد (2001)، تهذيب اللغة، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
أكلينكي، مرجع في الاضطرابات النفسية دليل علاج تفصيلي.
الآمدي، سيف الدين ، الإحكام في أصول الأحكام، بيروت_ دمشق، المكتب الإسلامي.
باتل، فيكرام، الصحة النفسية للجميع، ط1.
البخاري، عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار،دار الكتاب الإسلامي .
جبران، أمال ناصر،(2017)، الإشارات التربوية في ضوء سورة النمل دراسة موضوعية، كلية العلوم الاسلامية.
الجزائري، جابر بن موسى، (2003) أيسر التفاسير، ط5، السعودية، مكتبة العلوم و الحكم .
جفتجي، حسين علي (1981) طرق دلالة الألفاظ على الأحكام المتفق عليها عند الأصوليين .
الجوهري، إسماعيل بن حماد (1987) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، بيروت ، دار العلم للملايين .
الجوزي، محمد بن ايوب ابن قيم،(1408) الصواعق المرسلة، ط1، الرياض ، دار العاصمة.
ابن أميرالحاج، شمس الدين(1983) التقرير والتحبير، ط2، دار الكتب العلمية.

الاصفهاني،محمود بن عبدالرحمن (1986) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، ط1، السعودية، دار المدني .
حبنكة،عبدالرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية وأسسها .
حبنكة،عبدالرحمن حسن (2009) قواعد التدبر الأمثل، ط4، دمشق، دار القلم .
حسني،عاهد (2001) النفس في الصحة والتربية والعلاج، بغدا، مطبعة الأصدقاء .
الحلبوسي،كاظم خليفة ، المنطوق عند الأصوليين، مجلة الجامعة الإسلامية .
الحنبلي،أحمد بن محمد (2001) مسند الإمام أحمد، ط1، مؤسسة الرسالة .
خسرو، محمد(1321هـ) مرآة الاصول شرح مرقاة الوصول، شركة صحافية عثمانية.
الزبيدي،محمد ، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية .
الزحيلي،وهبة (1418هـ) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دمشق، دار الفكر المعاصر .
زهران،حامد (2005) الصحة النفسية والعلاج النفسي، ط4، القاهرة، عالم الكتب .
السرخسي،محمد بن احمد ، أصول السرخسي، بيروت، دار المعرفة .
السعدي،باسم احمد (2016) التجديد في التربية، ط1، بغداد، مؤسسة الفردوس .
الشربيني،لطفي (2009) الإشارات النفسية في القرآن الكريم، ط2، بيروت، دار النهضة .
الشنقيطي،محمد الأمين (1995) أضواء البيان في إيضاح القرآن، بيروت، دار الفكر .
الشيخ ومحمد، (2007) علم النفس التربوي بين المفهوم والنظرية، ط2، مكتبة الرشد .
صالح، محمد أديب، تفسير النصوص، ط1 .
صبحي، سيد(2001) راحة البال والشباب، مصر، الدار المصرية .
الطبراني،سليمان بن أحمد ، المعجم الكبير، ط2، القاهرة، مكتبة ابن تيمية .
طوالبة،هادي (2010) طرائق التدريس، عمان، دار المسيرة .
العابد،فهد (1422هـ) الصحة النفسية معناها، علاماتها، دلالاتها، ط1، جريدة الجزيرة .
عبدالحميد،دايم ، المنهج الاصولي في بيان أثر الدلالة في الحكم الشرعي، جامعة تلمسان .
عباس،حيدر (2016) الدلالة النفسية في القرآن الكريم.. مقاربة في سيمياء التواصل، مجلة الاستاذ.
عبدالسلام،سامح ، خلاصة القول في دلالات اللفظ والسياق عند الاصوليين، مقال بشبكة الآلوكة .
عبدالناصر،عدنان ، علم النفس التربوب بين النظرية والتطبيق، ط5، الأردن، دار المسيرة .
عزت،دروزة (1383هـ) التفسير الحديث، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية .
العطار،حسن بن محمد ، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي، دار الكتب العلمية .
غرايبة،محمد ، إشارة النص ومدى الاستدلال بها في النصوص الشرعية والقانونية، الاردن، جامعة مؤتة .
الغزالي،محمد (1993) المستصفى، ط1، دار الكتب العلمية .
غنام،محمد ، كيف تتعامل بكفاءة مع نفسك ومع الأخرين .
فيصل والزراد(2005) العلاج النفسي السلوكي لحالات القلق والتوتر النفسي والوسواس القهري، بيروت، دار صادر .
قدامة،موفق الدين (2002) روضة الناظر وجنة المناظر، ط2، مؤسسة الريكان .
اللبابيدي وخلايله، سيكولوجية اللعب .
محمد،بلعالم (2016) بناء برنامج علاجي معرفي سلوكي جماعي لخفض نوبات الهلع عند المصابين بفوبيا الأماكن المفتوحة، جامعة تلمسان .
محمد،مريمة ، الإشارات التربوية في سورة لقمان .

محمود،ماجد (2013) المضامين التربوية المستنبطة من سورة يوسف وتطبيقاتها التربوية، مجلة الفتح.
المطيري،عبدالرحمن (2012) دلالات الالفاظ وأثرها في التفسير .
المطيري،عبدالمحسن ، دلالات الالفاظ الوضعية وأثرها في تدبر القرآن، جامعة الكويت .
الملا،أحمد (2001) أختلاف الاصوليين في طرق دلالات الالفاظ على معانيها وأثره في الأحكام الفقهية .
مندوة،محمود (2011) نظرية التعلم، الرياض، مكتبة الرشد .
منظور،محمد (1414هـ) لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر .
ناصر وبو جمعة (2017) الصحة النفسية وعلاقتها بالأداء الوظيفي .

المصادر الأنجليزية

American psychiatric association, 1992_ 1993
Benefits of science undsci .berkele 2018
Kafoumba, why is education so important in our life, 2018

The Effect of Sign Implication in deriving the Psychological and Educational Meanings from Holy Qura'anic Texts.

Abstract

The Research aims at clarifying the intention of the approach of the holy Qura'an in education, direction and guidance. A lot of its words contained educational objective meanings and psychological treatments can't be reached by merely looking to words and phrases but it is a must to direct the thought and deriving the essence of the text to know the implication of noble and fresh meanings. This can be done through sign implication only because it uncovers the essence of words needed.

Key words: (signs) (semantic) (holy quranic) (effect) (psychology) (educational)